مجلة حقول معرفية للعلوم الاجتماعية والإنسانية

المجلد02 – العدد 01 - (2021)
الصفحات: 159-181

الشّخصية السّايكوباتية في رواية وليمة القتل الكبرى لبشير مفتي أنموذجا

The Saikobati character in the novel The Great Feast of Murder by Bashir Mufti Amodel

د/ جمال سنوسي [1*]
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
d.senouci@univ-chlef.dz

د/ إسماعيل زغودة [2]
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف
aboufirasse84@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2021/02/27 تاريخ القبول: 2021/03/24 تاريخ النشر: 2021/05/16

ملخص:

تعتبر الشّخصية إحدى المكونات الأساسية في أيّ عمل روائي، حيث تجمع هذه الأخيرة بقية المكونات الأخرى وقد عرفت على مرّ تاريخ الرواية تطورا خطيرا تبعا للتّحوّلات السّياسية والاجتماعية والفكرية الأيديولوجية وغيرها، وقد واكبت الرواية الجزائرية هذه التطورات، وصنع الروائيون شخصيات بعضها متحوّلة وأخرى نمطيّة تختلف حينا وتتشابه أحيانا، ويعتبر بشير مفتي واحدا من الروائيين الشّباب الذي صنع تميّزا روائيا في جميع رواياته فشخصياته غالبا ما تجمعها تيمة العنف، وتعتبر رواية وليمة القتل الكبرى استثناء روائيا ليس عند الكاتب فحسب، بل في الرواية الجزائرية المعاصرة على اعتبار أن بشير مفتي أخرج الشّخصية السّايكوباتية من علم النفس إلى الأدب، وهي شخصية لم يعتد عليها القارئ كثيرا، وهذا ما حاولنا طرحه من خلال هذا المقال .

الكلمات المفتاحية: الرواية، الشّخصية، السّايكوباتية، السّادية، وليمة القتل، بشير مفتي.

Abstract:

The character is one of the main components of any novel work, where the latter brings together the rest of the other components, and has known throughout the history of the novel a dangerous development according to political, social, intellectual, ideological and other transformations, the Algerian novel has accompanied these developments, and the creation of the novels, some of which are transformative and stereotypical, differs at times and are similar, and bashir Mufti is considered one of the young novelists who made a distinction in all his novels, his characters are often combined by the time of violence, and the novel of the great feast of murder is considered an exception to the novel when not only the author, but, In the contemporary Algerian novel, Bashir Mufti took the seikobati character from psychology to literature, a figure that the reader did not rely on much, and this is what we tried to put forward through this article.

***Keywords**: Novel, Personality, Seikopati, Sadism, Feast of Murder, Bashir Mufti.*

[*] المؤلف المرسل.

مقدّمة:

يعتبر بشير مفتي أحد الرّوائيين الجزائريين الذين أخرجوا السّرد الجزائري من نّمطيّته المعهودة خصوصا في جانب تكوين الشخصية إذ لا تخلو رواية الستينيات والسبعينيات والثمانينيات من أوجه التشابه من حيث الطرح الروائي لها من حيث المواضيع والمضامين، لكن الانقلاب الاجتماعي والسّياسي الذي حدث في فترة التسعينيات أحدث قطيعة خطيّة بين جيلين من الكتاب. جيل الرواد وجيل الشباب الذي واكب مرحلة التّحولات في الجزائر ، وبشير مفتي أحد هؤلاء الذين صنعوا التّميز الروائي من خلال رواياته الّتي طرح من خلالها شخصيات معنّفة في غالبها تعاني الهوس والفصام والانكسار الدّاخلي والتي تنتهي جلّها بانتهاء الرواية إما مقتولة أو منتحرة أو مجنونة أو هاربة، لكن رواية وليمة القتل الكبرى تمثل استثناء روائيا ليس عند الكاتب فحسب بل في المتن السّردي الجزائري كله وهذا من خلال تركيزه على شخصية سايكوباتية مرضية مهووسة. فما هي ملامح هذه الشخصية في رواية وليمة القتل الكبرى؟ وهل استطاع بشير مفتي أن يستثمر روائيا في هذه الشّخصية وأن يخرجها من علم النّفس إلى الأدب ؟.

1- جذور السّايكوباتية الإنسانية:

إنّ المتمعّن في الوجود الإنساني يلاحظ كمّا هائلا من الاختلاف بين البشر في الجنس والعرق واللّغة والشّكل وطرائق التّفكير وسبل العيش من عادات وتقاليد وديانات ونزعات وأهواء؛ ولذلك قُسمت البشرية حسب دياناتها ولغاتها وثقافاتها. بل إنّ سرّ الوجود الإنساني هو هذا الاختلاف بين الجنس البشري وهو مدعاة إلى التدبّر والتفكّر في كوامن الأسرار الإنسانية. يقول تعالى مبيّنا هذا الاختلاف الموجود بين البشر: "﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ ﴾"[1] .

فالمصدر في الآية " اختلاف" ورد ليبيّن للنّاس أنّ الطّبائع والألسنة واللّغات واللّهجات مختلفة وكذلك الصُور والخلق والألوان فهي على مشارب عديدة؛ لأنّ الاختلاف في الشّخوص بين البشر هو طبيعة فطرية في مسألة الخلق، فالاختلاف موجود في الجماد والطبيعة وكذلك الإنسان الذي يعقل ما حوله من الأشياء وتدعوه نفسه إلى التّدبر في سرّ الوجود الإنساني بأكمله. يقول تعالى"﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ۚ وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴾ "[2] .

فقد ضرب الله مثلا في الاختلاف الموجود في الطبيعة الجامدة والمتمثل في اختلاف الثّمر النابت من الشّجر والنبات، وهو اختلاف بين الأصناف والأنواع بل في الصنف الواحد ومن الشّجر الواحد كالاختلاف الموجود بين أنواع واحدة كالتين والزيتون والعنب والتّمور وغيرها من مآكل الإنسان.

وهذه مسألة تدعو إلى التوقّف عندها بحكم دلائل القدرة والإعجاز الإلهي الموجود فيها، حيث جعل الله الاختلاف بين الموجودات ناموسا طبيعيا يتشكّل في الصّفات والأشكال والألوان، ومنه اختلاف أصناف البشر وألوانهم بين الأبيض والأسود والأصفر، واختلاف أصلهم ونسلهم،وهو اختلاف دائم لا يتغيّر مع الزمان والمكان.

فالبشر على اجتماعهم في صفة الإنسانية إلاّ أنهم يختلفون في نفسياتهم وطبائعهم وأشكالهم وألوانهم ولغاتهم وهذا ما يحدد سلوكاتهم وأفعالهم وردود أفعالهم، ومدى تقبّلهم للمختلف عنهم، وهو ما يحدد مدى تجانسهم أو تنافرهم تعايشهم أو تنابزهم .

وكلّ هذا الاختلاف بين البشر على مرّ الأزمان وتعدد الأعصار واختلاف الأمصار جعل التطّاحن بين الجنس البشري على أساس عرقي أو ديني أو فكري إحدى محطات الإنسانية التي كان فيها العنف والعنف المضاد سمة من سماتها، على اعتبار أنّ سفك الدّماء والفساد كان رهانا وجوديا قامت عليه بعض الشعوب، بل إنّ تذكير الملائكة في محكم التنزيل لله سبحانه وتعالى واستفسارهم عن سبب خلق خليفة له في الأرض تدعو إلى التأمل في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾[3].

فالاستعلام عن حكمة خلق البشر وجعلهم خلائف في الأرض من طرف الملائكة هو ما دعاهم إلى ذكر بعض جرائمهم كجريمة سفك الدّماء على اعتبار ما سيقع مستقبلا من مفاسد بعض البشر؛ لأنّ اختلاف أهوائهم ونفوسهم وتباغضهم وتحاسدهم هو ما يجعل مسألة الخلق قائمة على خلفاء لله في الأرض من خلقه وآخرين من غير خلفائه وهو المبدأ القائم بين البشر في مسألة الخير والشّر .

ولعلّ أوّل من جسّد النّزعات والأهواء والسّلوكات غير السّوية من طرف البشر في الأرض هما ابني آدم فقد عبرا عن مفهومين متناقضين للبشرية وهو مبدأ الخير ومبدأ الشّر والإفساد، حيث ذكر الله تعالى قصّتهما وكشف عن مكامنهما النّفسية في قوله: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾"[4] .

ويظهر من خلال هذه الآية أن نفس قابيل نفس جانحة تميل إلى الحسد والغيرة المفضية إلى العنف اللفظي في قوله مهددا " لأقتلنك" وفيه إصرار على الفعل، وهو سفك الدّم الذي يعتبر من أبشع ما يمكن أن يرتكبه الإنسان ضد الإنسان لما فيه من مضرّة بسرّ الوجود وهو التّعايش والتّعارف والتّناسب، وهذا ما يشير إليه الله تعالى في قوله: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[5] .

فسرّ الخلق الإنساني قائم على مبدأ التّعارف والتّثاقف المفضي إلى السّلام بين البشر، وهو ما يعكسه ردّ هابيل على أخيه قابيل في قوله: " ما أنا بباسط يدي لأقتلك"، وفيه تسليم تام بعدم دفع المضرّة بمضرة أخرى وهي القتل، بل اكتفى بتبرير كلّ ذلك بالخوف من عقاب الله تعالى في قوله:" إنّي أخاف الله ربّ العالمين"

وهنا يظهر نوعين من الشّخصيات الإنسانية الموجودة في الواقع منذ خلقت البشرية. شخصية عنيفة ومُعنِفة لا يرضيها في الوجود إلا حبّ الذّات ونرجسية الفعل، وشخصية مسالمة تمثل فطرة الخير في الإنسان، ليتلازم بذلك الوجود الإنساني حول مفهومين أساسيين هما مبدأ الخير ومبدأ الشّر مع ما لهذين المفهومين من صراع أبديّ قد يغالب أحدهما الآخر في النّفس الإنسانية الّتي قد تطلب الشّر وتأتيه كلّما تغلبت فيها شهوته وخمدت فيها جذوة الخير.

وهو ما تعكسه قصة قابيل وهابيل حين غالبت نزعة الشّر قابيل، ليفكر في أبشع شيء يمكن أن يخمد نار غضبه وحقده وحسده اتجاه أخيه هابيل، فأقدم على قتل أخيه وزيّن ذلك في نفسه. يقول تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [6].

فَصُورَة قَابِيل هِي صُورة الشّخصية غير المتزنة نفسيا وعقليا إذ يدفعه حسده إلى اقتراف أشنع جريمة عرفتها الإنسانية وهي سفك الدّم، ليكون بذلك فاتحة لعنف إنساني تولدت عنه شرور الإنسان على مرّ التاريخ، فقابيل لم يردعه ضميره أو صلة القرابة بأخيه فأقدم على زهق روحه وأتمّ فعلته. وقد صور القرآن تلك اللّحظة الفارقة بين فعل الجريمة وما بعدها بعد أن هدأت نفسه وعاد إلى جادة رشده وعقله. يقول تعالى مصورا حسرته : ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾ [7].

ليكون بذلك قابيل أوّل من سنّ فعل القتل والإجرام في البشرية بقتله أقرب المقربين إليه، ولم تنفع صلة القرابة الروحية والمعنوية في ردعه عن إتمام جريمته، ليتحوّل القتل بين البشر فيما بعد إلى نزعة لإثبات الوجود وفق منطق التغالب، فالخليقة البشرية قبل خضوعها لمنطق الدّين والقانون قامت على مبدأ نرجسية الذّات ومغالبة الآخر لإثبات الوجود، وهو ما يفسر تلك الأنانية الإنسانية الّتي تومض بين الفينة والأخرى.

يشير ابن خلدون إلى نزعة العدائية وحب أذية الآخرين فيقول عن طبيعة النّفس البشرية:" ومن أخلاق البشر الظّلم والعدوان بعض على بعض، فمن امتدت عينه إلى متاع أخيه فقد امتدت يده إلى أخذه إلاّ أن يصدّه وازع "[8].

فالعنف بين البشر مازال إلى اليوم السّلعة الرائجة سواء كانوا دولا أو مجتمعات أو تجمّعات أو قبائل وأفراد، فالإنسان المعاصر رغم ما أوجده من سبل في تنويع طرائق حياته إلّا أن العدائية مازالت تطبع سلوكه ونوازعه البدائية مازالت تطفو إلى السّطح كلّما احتاج إليها لفضّ النّزاعات والصّراعات

والتّجاذبات الدّينية والعرقية، والعنف غالبا ما يكون الوسيلة لحسم الصّراع بين الأفراد وهذا ديدن البشرية التي طورت من أساليب حياتها مثلما طورت من أساليب عنفها، ولم يخل عصر من العصور من صور العنف وخصوصا عنف القتل والإجرام.

وحسب ابن خلدون فإن العنف مازال مستحكما في المجتمعات البشرية التي ترفض الاحتكام إلى المنطق العقلاني الرّشيد، وتستخدم العنف وسيلة لتقرير مصيرها وانتزاع حقوقها وتسوية خلافاتها بالرغم من تطور الحضارات الإنسانية عند أغلب الأمم والشعوب"[9].

فصفة العدوانية عند الجنس البشري صفة لاشعورية تظهر كلما سُمح لها بذلك وكلما شعرت النفس بتهديد داخلي أو خارجي؛ لذلك تتحصّن المجتمعات في بنى اجتماعية تجمعها دوائر فكرية أو دينية أو عرفية أو لغوية تسعى إلى مناصرتها والدفاع عنها ضدّ المناوئين والمخالفين الذين يخالفونها وتشعر بالأمان كلّما انزاحت إلى هذا التّقسيم البشري فتجد راحة نفسية لها وقيمة وجودية كلّما انخرطت في طائفة وعادت طائفة أخرى تخالفها في توجهاتها.

إنّ العنف البشري مثلما تمارسه الدّول سياسات مثلما يمارسه الأفراد وتمارسه المجتمعات ضدّ مجتمعات أخرى أو داخل المجتمعات نفسها كإيذاء الغير أو إيذاء الذات والعدوان المادي واللفظي والرمزي بعض على بعض، وكل هذا يدعّمه الضمير الذي يخرج في بعض الأحيان عن طبعه الإنساني فتغالبه نزعة حبّ الذّات فيميل إلى السّادية المفرطة ويتلذّذ بتعذيب الآخرين جسديا ونفسيا، وهذا ما يصنع من البشر كائنات عدائية ضدّ بعضها بعضا تميل إلى العنف متى دعت الحاجة إلى ذلك.

وهذا ما أراد ابن خلدون أن يبينه في قوله: " إنّ الحرب والمقاتلة لم تزل واقعة في الخليقة منذ برّأها الله وأصلها إرادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكلّ منهما أهل عصبيته، فإذا تذامروا لذلك وتوافقت الطائفتان إحداهما تطلب الانتقام والأخرى تدافع كانت الحرب، وهذا أمر طبيعي في البشر لا تخلو عنه أمة ولا جيل "[10].

ويرى ابن خلدون أنّ الحرب والقتل بين البشر سجيّة وطبع قد جبلوا عليه، وإنما تختلف دوافعها وأسبابها فمن حب الانتقام والعدوان بعض على بعض إلى إظهار التّعصب للعرق والدّين والجنس والقبيلة وغيرها، وهو أمر متوارث بين البشر لم يخل منه عصر من عصور البشرية.

ولعل ما ذهب إليه ابن خلدون يصدق اليوم على ما تعيشه الإنسانية في قرنها الحالي، فرغم ما شهدته من توسّع في علمها وعلومها وحضارتها إلّا أن ارتدادها إلى بدائيتها الأولى مازال موجودا بين الدّول والبشر على حدّ سواء، ولعلّ الحروب الجديدة وميل المجتمعات المتخلّفة والمتحضرة منها إلى العنف هو ما يجعلنا نقف عند هذا المصطلح كثيرا.

2- مفهوم العنف:

جاء في تعريف كلمة عنف في معجم لسان العرب لابن منظور (ت711) مايلي:" العنف الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضدّ الرفق، عنف به وعليه، يعنف عنفا وعنافة، وأعنفه وعنّفه تعنيفا وهو عنيف إذا لم يكن رفيقا في أمره"[11].

فالعنف من هذا المنظور هو استخدام القوّة وقلّة الرفق، ومن أشكاله التّعدي والخرق والعدوان والعدائية والإرهاب قصد أذيّة الآخرين وإلحاق الضّرر بهم، وأما صاحبه فيحمل صفات بيولوجية تميّزه عن باقي البشر كالقسوة والشدة والسّادية والنّرجسية والانعزالية والكراهية والحسد وغيرها من الصفات الّتي تجعل من يمارسه حبورا به سواء مارسه فعلا أو قولا، وغالبا ما يُربط العنف بالحالات النّفسية ويصنّف أنّه مرض نفسي من عدة جوانب منها الجذور البيولوجية والدّوافع النّفسية والعوامل الأخرى، مثل تأثير العقاقير والبيئة...وارتباطه ببعض الأمراض مثل الهوس...والفصام واضطراب الشّخصية "[12].

فالعنف من ناحية المعاجم النّفسية هو سلوك غير سوي قد يرتبط بالبيئة باعتبارها بيئة مورّثة للعنف، ومتى كانت البيئة قليلة الوعي والفكر كانت أكثر عرضة للأعطاب وتزداد فيها الجرائم فيصبح العنف مرضا اجتماعيا يعبّر به الأفراد والجماعات عن توجهات نفسية قد تكون في غالبها معقّدة تثير فيهم عقلهم اللاواعي تعبيرا عن الرفض والكره اتجاه أعداء وهميين في الغالب قد تكون السّلطة الرسمية أولهم؛ لذلك جاء في تعريف العنف في موسوعة علم النّفس أنه: "سلوك مَشوبٌ بالقسوة والقهر والإكراه، وهو سلوك بعيد عن التّحضر والتّمدن، تُستثمر فيه الدّوافع والطّاقات العدوانية استثمارا صريحا بدائيا كالضّرب والتّقتيل للأفراد والتّكسير والتّدمير للممتلكات، واستخدام القوة والإكراه للخصم وقهره، ويمكن أن يكون العنف فرديا يصدر عن فرد واحد كما يمكن أن يكون جماعيا يصدر عن جماعة أو هيأة أو مؤسّسة "[13].

فالإنسان العنيف يحمل طابعا عدوانيا وعدائيا اتجاه الآخرين سواء كانوا أشخاصا أو مجتمعات أو جمادات، وهو يتّخذ من العدوانية وسيلة لتحقيق مبتغاه النّفسي، وقد يتّخذ الرّغبة في التّفوق على الأشخاص الآخرين والاعتداء عليهم وإيذائهم والحطّ من مكانتهم والميل إلى الشّجار والتّدمير وسيلة لذلك مما يصنع منه شخصا عدائيا عنيفا غايته إلحاق الضرر المباشر أو غير المباشر بالأشخاص والجماعات، وقد يحمل العنف صيغا متعدّدة كالضرب والتّهديد والتّدمير والحرق والتّخريب وأعلى درجاته القتل والإرهاب، وكل هذا قصد إلحاق السيطرة والهزيمة بالآخرين .

ومنه فالعنف كلّ فعل أو قول ظاهر أو مستتر مباشر أو غير مباشر يحمل طابع المادية أو المعنوية موجه لإلحاق الضرر بالأفراد والجماعات وممتلكاتهم، وقد يأخذ أشكالا متعددة كالعنف الذاتي أو ما يصطلح عليه في علم النّفس بالمازوخية أو العنف ضد الآخرين وهو ما يطلق عليه بالسّادية .

ومهما حاولنا الإحاطة بهذا المفهوم الفضفاض فإننا سنجد له تشعّبات كثيرة تنطلق من زاوية رؤية صاحبها على اعتبار التّخصص الذي يستند عليه في تعريف العنف، بل إن العنف قد يختلف من مجتمع إلى آخر فما هو مقبول في مجتمع ما ويعتبر شرعيا مباحا قد يكون عنفا وخروجا عن مواثيق الإنسانية في مجتمع آخر.

وانطلاقا من هذه التّعريفات وجب علينا أن لا نركّز على فعل العنف في حدّ ذاته بل على من يمارسونه على اعتبار ممارسة العنف قد تكون سلوكا دائما يُطبع بصاحبه، مثلما قد يكون سلوكا عرضيا لا يظهر إلا في الحالات النّادرة كحالات الانفعال والغضب واضطراب السّلوك وغيرها فالشّخصية العنيفة قد يكون العنف بالنسبة إليها صناعة تلجأ إليه لإرواء عطش داخلي قد يكون عطشا مرضيا أو جنونيا أو ساديا لا تنطفئ جذوته إلا مع تكراره على الشّخصية المعنّفة، وهو رغم قلته في نِسب من يمارسون العنف إلا أنّه أشد أنواع العنف خطورة على اعتبار ممارسيه لا يصلون عند حدّ معين منه بل يتمادون فيه إلى حدود قصوى قد تصل إلى جرائم القتل بدم بارد مع ما يجدون في ذلك من لذّة نفسية تصحبهم طيلة فعل الجريمة.

3- الشّخصية في المتن الروائي الجزائري بين الثبات والتّحول :

بإطلالة بسيطة على مفهوم الشّخصية أو الشّخوص الروائية منذ نشأة الرواية الجزائرية إلى اليوم فإنّه يمكننا إجراء دراسة نقدية لها وتصنيفها تبعا للتّحولات الزّمنية والتّاريخية التي احتك بها الروائيون وعبروا فيها عن مواقفهم الفكرية والأدبية ويمكننا أن نصنّف هذه الشّخصيات إلى:

1-شخصيات ملتزمة تعبر عن توجهات اجتماعية وسياسية: ويمكننا أن نسميها أيضا شخصيات بطلة يدور حولها معظم السّرد والحكي، ومن صور ذلك نذكر روايات فترة الاستعمار مثلا كروايات محمد ديب: دار السبيطار، الحريق، النول وغيرها .

2- شخصيات أيديولوجية: وهي الفترة التي تخندق فيها الروائيون في مفاهيم أيديولوجية تعبر عن معركة الفكر التي كانت مشتعلة زمن السّبعينيات والثّمانينيات مع ما تركه الصّراع الفكري آنذاك من تأثير على بنية الرواية بصفة عامة وعلى شخوصها بصفة خاصة، وجلّ هذه الشّخصيات متأثرة بتيار الوعي في المجتمع فنجد منها: الوطنية، الاشتراكية، الإسلامية، الفكرية...إلخ، ومن أمثلة ذلك رواية اللاز للطاهر وطار، ورواية ريح الجنوب والجازية والدراويش لابن هدوقة، والحلزون العنيد والإنكار وضربة جزاء لرشيد بوجدرة وغيرها .

3- شخصيات مثقّفة: وهي إحدى التّيمات التي اشتغل عليها الروائيون بدءا من نهاية الثمانينيات وبداية التّسعينيات وتعكس تلك الحالة النّفسية التي كان يعيشها الروائيون جراء العنف المنتشر في المجتمع، ونذكر من ذلك مثلا: رواية تيممون لرشيد بوجدرة، ورواية الشّمعة والدهاليز للطاهر وطار ومن تبعهم في ذلك كثير.

4- شخصيات عنيفة ومعنَّفة: وتمثلها مرحلة التحوّلات في الرواية الجزائرية المعاصرة على يدّ جيل من الشّباب الذي أخذ على عاتقه إعادة بعث الخطاب السّردي الجزائري بمفاهيم جديدة واشتغلوا خصوصا على شخصية المثقف المعنّف، ومن أمثال هؤلاء نذكر: ياسمينة خضرا، فضيلة الفاروق، أحلام مستغانمي، بشير مفتي وغيرهم .

ولعل بشير مفتي يعدّ أحد أبرز هؤلاء من حيث الكتابة والالتزام الخطّي والهاجس الروائي الذي اشتغل عليه منذ أوّل رواية كتبها المراسيم والجنائز 1998 إلى غاية اليوم، حيث يشكّل له هاجس العنف أحد أبرز التّيمات المشتركة في جميع رواياته، وهو الذي يقول عن ذلك: " لقد اخترت الشّكل الفني المناسب لي الشّذرات الهذيانات للتعبير عن حالة الضبابية والعنف الذي عاشته الجزائر، وعشته كإنسان قبل كل شيء. إنّ الشّكل الشّذري والهذياني كان بالنسبة لي الأمثل في مقاربة التراجيديا والعنف، وبالتّالي كانت الحرب تختار لي شكلها المناسب؛ أي الشّكل الأكثر نقلا للتّراجيديا نفسها "[14] .

إنّ العنف الذي عاشه بشير مفتي أثّر على مخياله السّردي كونه كاتبا وروائيا؛ لذلك اشتغل في متونه السّردية على تيمة المثقف المعنف وعلى تراجيديا القتل كتيمة تجمع معظم نصوصه السّردية ويجمع كلّ هذا شخصياته التي يشكّل لها العنف هاجسها الأول الذي حاولت الخلاص منه، وغالبا ما تكون شخصيات هروبية لا تعرف كيف تتعامل مع واقعها الجديد، وهي تخضع في كلّ هذا لصرامة الكاتب وتقنيات إجراءاته وتصوراته وأيديولوجيته وفلسفته في الحياة، فالشّخصية " تتعدد بتعدّد الأهواء والمذاهب والأيديولوجيات والثقافات والحضارات والهواجس والطبائع البشرية التي ليس لتنوعها ولا لاختلافاتها حدود"[15] .

لذلك نجد بشير مفتي يسقط إسقاطا واقعيا هاجس العنف على شخوصه الروائية، ويكلّفها عناء الحديث عنه عن طريق تقنية تعدد السّارد وإتاحة الفرصة لجميع الشّخصيات للتّعبير عما يدور في خوالدها من راهن العنف، وهو هاجس الكاتب ذاته عندما يصطدم بواقعه؛ لذلك حاول " أن يجعل من رواياته مرآة تعكس كلّ طبائع النّاس الذين يشكّلون المجتمع الذي يكتب له وعنه في الوقت ذاته بما كان فيهم من عيوب، وبما كان فيهم من عواطف، وبما كان في قلوبهم من أحقاد، وبما كان في نفوسهم من شرور وبما كانوا يكابدونه من آلام وأهوال في حياتهم اليومية"[16] .

وتعتبر الشّخصية إحدى البنيات الأساسية التي تكشف البنيات الأخرى، إذ لا مجال للحديث عن اللّغة والسّرد والزّمان والمكان دون أن تكون هذه الشّخصية على اختلاف تسمياتها عند النقاد الفاعل الأكبر فيها ومن خلالها نستطيع كشف كوامن النفس الإنسانية ومقاصد الكتّاب وميولهم ونزعاتهم، وهي التي يخلقها الكاتب وقد يعجز عن السيّطرة عليها وعلى أفعالها وردود أفعالها، مما يجعل منها شخصية حيّة الوجود لا تنتهي بانتهاء الرواية، وقد تشكّل صداعا حقيقيا لمن أوجدها وعمل على بث الرّوح فيها، فتتفلّت من بين يديه وتصنع لنفسها لغة فتدير الحوار وتعمل على تضريم

الصّراع وتدويره، وهي التي يقع عليها الحكم من خلال أفعالها وردود أفعالها فتمثّل الشّر والخير وكلّ متناقضات الإنسانية من حقد وبغض وحبّ وكراهية.

وهذا يجعل زاوية التركيز الأولى في أيّ متن سردي تقوم على الشّخصية باعتبارها المدخل لدراسة أيّ عمل روائي، وسنحاول من خلال هذه الزاوية التركيز على إحدى الروايات المعاصرة لبشير مفتي من خلال شخصيتها التي تمثل استثناء روائيا في الرواية الجزائرية المعاصرة ودخولا في عوالم شخصانية غير مألوفة لدى كثير من الروائيين كيف لا وهو الذي عمد في بعض رواياته أن لا يعطي اسما صريحا لأبطال شخصياته انطلاقا من روايته الأولى المراسيم والجنائز التي نعت فيها شخصيته بحرف "ب" نازعا عنها صفة الشّعور والأحاسيس ومثلها رواية أرخبيل الذّباب التي أطلق على إحدى شخصياتها حرف "س".

وإذا كانت النّزعة التّشاؤمية والرّغبة في الموت وإنهاء الحياة تكاد تجمع كلّ شخصيات بشير مفتي في جلّ رواياته انطلاقا من تلك الأفكار التي تحملها والتي تنتهي بها منتحرة أو مقتولة أو هاربة أو مجنونة، فإنّ ما يميز رواية اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى أنّها تشكّل استثناء روائيا مقارنة ببقيّة رواياته حيث اللّافت فيها هو تركيزها على شخصية قلّما نجدها في الروايات الجزائرية وهي الشّخصية الانفصامية السّادية أو ما يمكن أن نسمّيه الشّخصية السّايكوباتية عند علماء النّفس وهو ما سنبحثه في متن هذه الرواية ودواعي توظيف هذا النّوع من الشّخصيات غير المألوفة للقراء.

4- الشّخصية السّايكوباتية من علم النّفس إلى الأدب:

إنّ ارتفاع معدلات الجريمة اليوم في العالم يدعونا إلى الوقوف عند مرتكبي هذه الأعمال الشّنيعة في نظر الدّين والعرف والمجتمع والقانون لاستجلاء بعض السّمات العامة لدى مرتكبيها ومدى استعداداتهم النفسية وصحتهم العقلية وتوازنهم النّفسي وسنقف عند مفهوم الشّخصية السّايكوباتية باعتبارها الشّخصية الأكثر تمثّلا لعنف الإجرام والقتل.

يوجد كثير من التّعريفات في الحقل النّفسي والتربوي للشّخصية السّايكوباتية منها تعريف صالح حسن الدّاهري. يقول: " إنّها تشمل نوعيات الشّخصية غير المتوافقة اجتماعيا ومهنيا، وتعاني اضطرابا خطيرا في المقومات الاجتماعية والخلقية على الرغم مما يبدو عليها في الظّاهر أنها سوية ومقنعة "[17].

كما تُعرّف أنها تمثل السّلوك المضاد للمجتمع والخارج عن قيمه ومعاييره وقواعده وقوانينه وتشمل انحرافات السّلوك والأفعال، فقد جاء في معجم علم النّفس والتّحليل النّفسي تعريف كلمة سايكوباتية على النّحو التالي: "يشتق هذا الاصطلاح من كلمتين psycho ومعناها نفسي وpath ومعناها مرض أو انحراف أو مسلك أو طريق وهكذا يحمل اصطلاح السّايكوباتية مفهوم انحراف الفرد النّفسي في سلوكه عن الطريق السوّي أي مجانبة السّلوك المتوافق ووصفه بالانحراف "[18]

وعليه تمسّ السّايكوباتية السّلوك النّفسي كمرض ظاهر أو غير ظاهر للعيان وغالبا " ما يطلق على السّلوك الذي يعدّ مضادا للمجتمع وخارجا عن قيمه ومعاييره ومُثله وقواعده؛ ولذا فإن السّايكوباتية تشمل انحرافات السّلوك والأخلاق؛ ولذا تشمل فئات كثيرة كمدمني المخدّرات والنّصابين والمصابين بجنون السّرقة والمنحرفين جنسيا والمختلين عقليا "[19].

فالشّخصية السّايكوباتية هي من تتّسم بسلوك مناف للمجتمع وتفتقر للمكونات الكاملة للشّخصية نتيجة تأثير التّربية أو الطّفولة أو العنف الممارس عليها والذي تترجمه إلى عنف مضاد، كما تحمل عللا نفسية ظاهرة ومضمرة اتّجاه الآخرين، وغالبا ما تفقد الرابط الاجتماعي والأسري الذي يربطها بالبيئة التي تعيش فيها فتميل إلى النّزعات الشّخصية بعيدا عن القوانين القيميّة الجامعة .

أمّا السّايكوباتي "فهو الذي لا يرتدع ولا يحسّ الخجل لانحرافه، ويتّصف بفجاجة الانفعال وسطحيته وينقصه بعد النّظر والقدرة على التّخطيط وبعضهم يمتاز بالذّكاء، وانحراف السّايكوباتي غالبا لا معنى له ولا فائدة فهو مثلا يسرق أشياء تافهة لا نفع فيها أو يستطيع دفع ثمنها دون إرهاق لميزانيته، وهو يكذب حيث يكون الصّدق أفضل فائدة له وكأن يسرق للذّة السّرقة في حدّ ذاتها ويكذب للرغبة في الكذب في حدّ ذاته "[20].

والسّيكوباتي يتّخذ من سلوكه صفة الإدمان على عكس بعض المنحرفين اجتماعيا الذين يبحثون عن المصلحة الذّاتية في كلّ ما يقومون به بعيدا عن رقابة القانون وسطوة المجتمع، وغالبا ما ينحدر السايكوباتين من طبقات مرموقة اجتماعيا وحالتهم مستعصية الشّفاء، وقد يجمعون بين صفات منحرفة كثيرة كالسّادية والعصاب والمازوخية وغيرها من الأدواء النّفسية التي لا يميّز بينها إلّا خبير.

وغالبا ما تجتمع هذه الصّفات في شخص السّايكوباتي؛ لأنّ معيار القيام بالفعل عنده هو اللّذة المفرطة لذلك غالبا ما يكون سلوكه سلوكا ساديا يستمتع بإيذاء الآخرين ويجد في ذلك راحة لدواخله المضطربة وتعويضا عن نقص نفسي لا يكتمل إلا بتعذيب غيره وإرهاقهم نفسيا واجتماعيا، سواء بتوجيه عنف مادي اتجاههم كالضّرب والحرق والتّكسير والقتل وهو أعلى ما يمكن أن يصل إليه الشّخص السّايكوباتي من حالات السّادية المفرطة، وقد يكون العنف معنويا كجرح مشاعر الآخرين وشتمهم وضرب كرامتهم ومصالحهم ونحوها.

5- تجليات الشّخصية السّايكوباتية في رواية وليمة القتل الكبرى:

تشكّل رواية وليمة القتل الكبرى لبشير مفتي منعطفا أدبيا في التّجربة الروائية للأديب في حدّ ذاته كونه قد انزاح روائيا عن تجاربه السّابقة، حيث تشكّل هذه الرواية قطيعة خطّية مع باقي رّواياته التي على اختلافها إلا أنها تبقى تدور في حيّز واحد وهاجس واحد هو هاجس العنف والمثقّف المعنف عموما، وغالبا ما حملت هذه الروايات بين طيّاتها شخصيات انهزامية مستسلمة هروبية منتحرة تنتهي

بانتهاء زمن الكتابة، حيث يشكّل لها العنف الحدث الخطير في حياتها اليومية التي تقضيها متخفّية مخافة القتل أو الاختطاف مما يدفعها في بعض الأحيان إلى اختيار سبل أخرى للنّجاة كالهروب والانتحار، إلا أن رواية وليمة القتل الكبرى تشكّل مفارقة روائية من كلّ هذا فقد حاول بشير مفتي أن يخرج من دائرة تلك الشّخصيات النّمطية التي تعوّد على صنعها والتي غالبا ما تلعب دور الضّحية إلى شخصية أخرى أقلّ ما يمكن القول عنها أنها شخصية غير مألوفة في المتن الروائي الجزائري وهي الشّخصية السّايكوباتية .

فقد اختار بشير مفتي في هذه الرواية أن يجرّب القتل وأن يصنع من شخصية القاتل فيها شخصية نفسية معقّدة تحاول تبرير جرائم القتل والعنف التي جُرّبت في كلّ رواياته السّابقة حتى يعريّ بعض الأفعال الإنسانية التي يختبأ وراءها البشر ويبررونها حينا ويرفضونها حينا آخر تبعا للمعتقدات والقوانين والعادات والتّقاليد وغيرها.

1-5 سايكوباتيّة العنونة:

يقال بأنّ العنوان علامة النّص وأوّل اصطدام بين الكاتب والقارئ، والنّص إنما يُعلن عنه بالعنوان فهو علامة فارقة وسمة بالغة الأهمية له مدلولات معجمية ونحوية وصرفية ودلالية واجتماعية ونفسية وسياسية وغيرها من المحمولات، " فهو قبل ذلك علامة أو شارة تواصلية له وجود فيزيقي مادي، وهو أوّل لقاء مادي محسوس يتمّ بين المرسل (النّاص) والمتلقي [21] .

فالعنوان هو نصّ صغير مختصر لما ورد في المتن موجّه بالضّرورة إلى القارئ للفت انتباهه، ولا ينفك يتمتع بنصّية تؤهله ليؤدّي أدوارا خطيرة في عملية الاتّصال بين المرسل والمرسل إليه،" فبينما يشفّر المرسل رسالته يتولى المرسل إليه تفكيك هذه الرسالة المشفّرة منطلقا من العنوان بوصفه المفتاح الأوّل في فكّ طلاسم الشّفرة الذي يرسله المرسل مع الرسالة"[22] .

فالعنوان إذا نصّ مواز ينبغي فهم رموزه وإيحاءاته وإشاراته عن طريق الافتراض والتّأويل والتّفكيك قبل الغوص في مجاهيل النّص، فالعناوين عند بشير مفتي ليست سوى أنظمة سميائية ودلالية تحمل بين حروفها مدلولات فكرية وأيديولوجية للذّات والواقع الإنساني عامة.

لقد عنون بشير مفتي روايته بعنوانين بارزين هما: اختلاط المواسم أو وليمة القتل الكبرى، وتعدّ هذه سابقة في تاريخ الرواية الجزائرية أن نجد عنوانين لرواية واحدة، وكأنّه ترك حرية الاختيار للقارئ كي يختار أيّ عنوان يريده ويلفت تركيزه، وقد جمع حرف العطف" أو " الذي من مدلولاته التّخيير بين شيئين للمفاضلة بينهما، ومن باب المفاضلة فإنّ العنوان الفرعي الذي عطفه على العنوان الأصلي أكثر جاذبية كون الأول في قوله: اختلاط المواسم يحمل كثيرا من الغموض، فكلمة الاختلاط في مدلولها تحمل معاني الخلط والمزج وهي عكس الصّفاء، والمواسم على ظاهرها تعني الفصول، كما تطلق على الأعياد عامة والأفراح خاصة وهو مُجتمع ومجمع كلّ شيئ فيه حاجة، وإنما دلالة العنوان هنا فيه من

الرّمزية الشيء الكثير، ومن خلال متن الرواية يتّضح أنّ اختلاط المواسم إنما هو اختلاط الأفكار في النّفس الإنسانية.

وأمّا دلالة المعطوف فهو الأكثر جاذبية من حيث استعمال كلمة وليمة وهي تتداخل معجميا مع كلمة مواسم؛ لأنّ دلالة القصد فيهما الاجتماع، فكما في المواسم من اجتماع ففي الوليمة كذلك، وإنما الولم والولائم فيه قصد اجتماع النّاس لفرح وعرس أو لخير يصيب الجميع ومن أمثال العرب: أولمُ من الأشعث وقيل فيه:

لَقَدْ أَوْلَمَ الكِنْدِي يَومَ مَلَاكِهِ وَلِيْمَةَ حَمَّالٍ لِثِقْلِ العَظَائِمِ [23].

بينما أولم بشير مفتي في عنوانه هذا مضافا إلى المعطوف "وليمة القتل"فجاءت كلمة القتل لافتة للنظر وهي كلمة بشعة مستبشعة تحمل مدلولات العنف في أوجّ درجاته، والمدعون لهذه الوليمة إنما هم مدعون لشر لا خير ولحزن لا فرح، وإنّما يحضر مثل هذه الولائم النّاس غير الأسوياء من القتلة والسّفاحين والمجرمين الذين تجتمع فيهم صفات السّايكوباتية والسّادية؛ لأنّ القتل لا يجتمع عليه إلا من امتلكوا صفات شاذة تجعلهم يخرجون عن طبعهم الإنساني ويلتقون للاحتفال في وليمة هي وليمة دمّ وذبح، كون القتل من الجرائم التي يمكن أن يرتكبها الإنسان وهو الجانب الحيواني من الإنسانية لأنّ القتل لا تجتمع عليه إلا الحيوانات الضّارية من أجل الإطاحة بفريستها وجعلها وليمة لغذائها وحاول بشير مفتي أن يلصق هذه الصّفة بالإنسان، فالبشر قد يفقدون صفة الإنسانية فتتعدّد شرورهم وأمراضهم النّفسية فيجعلون من القتل وليمة يجتمعون حولها كذلك.

فالقتل ليس سوى جريمة إنسانية يرتكبها البشر ضدّ بعضهم بعضا؛ لذلك جاء في الدّيانات السّماوية التّحذير من مغبّة زهق الأرواح والأنفس واعتبرت ذلك من الكبائر الّتي لا تغتفر، ولكن طبع النّفس الإنسانية وشهوتها للظلم والسّيطرة والتّعدي يجعل بعض الأنفس تقدم على هذه الأفعال عن قصد أو غير قصد، كون القتل جنوح نفسي مرضي يرتكبه في غالب الأحيان الأشخاص الفصامين الذين لا يردعهم قانون أخلاقي أو اجتماعي أو ديني، بل يجدون في هذه الأفعال راحة نفسية لهم وهو ما يمكن أن نطلق عليه الأشخاص السايكوباتين الذين قد يجتمعون على وليمة غذاء أو عشاء ويخططون لجريمة القتل كما يخططون لمشاريعهم، ويجتمعون حول هذه الوليمة دون أن تتزحزح شعرة واحدة منهم، ودون أدنى تأنيب للضمير وهو ما نلمسه في سميائية العنوان الذي يشير إلى شخصيات مهووسة وأفعال أقرب إلى الجنون عندما يخطّط البشر لولائم القتل خصوصا إذا كانت هذه الجرائم متتالية توقظ فيهم صورة الإنسان العنيف الذي لا تهنأ نفسه إلا بمزيد من القتل؛ لذلك جاءت دلالة الصّفة المكملة لكلمة القتل في قوله:"الكبرى"لِتكوّن من خلال هذا العنوان صورة مصغرة عن عالم السّايكوباتية الأدبية في رواية وليمة القتل الكبرى.

2-5 سايكوباتية شخصية القاتل :

يفتتح بشير مفتي رواية وليمة القتل الكبرى من خلال توشيةٍ للشّاعر الأمريكي شالز بوكوفسكي (1920-1994) وهي مقتطف من إحدى قصائده عنوانها إلى تجار الرّحمة حيث يقول:

مبررة
كل أشكال الموت مبررة
كل أشكال القتل كل الموت
كل النفوق
لا شيئ يذهب سدى
ولا حتى عنق ذبابة "[24].

إنّ هذه التّوشية والافتتاحية هي محاولة لتبرير سلوك القاتل السايكوباتي داخل الرواية، كون القتل مهما كانت دوافعه وأسبابه سيبقى مبرّرا عند البشر تحت تسميات عديدة كالعقائدي والديني والأيديولوجي والنّفسي والوطني؛ لأنّ البشر يحاولون التمّلص من أفعالهم عن طريق إيجاد مآمن نفسية تقيهم سطوة الضّمير أو صحوته فتخدير العقل الواعي هو ما يدفع إلى جريمة القتل، ومحاولة إيجاد تبريرات واهية قد يكون آخر تبرير لها القدر؛ لذلك يحاول بشير مفتي أن يجد مبررا لسلوك شخصيته في هذه الافتتاحية حتى لا يصدم القارئ، كون هذه الشّخصية تختلف اختلافا جذريا عن باقي الشّخصيات؛ لأنه انتقل من الكاتب الضّحية في رواياته السّابقة إلى الكاتب الجلاد ليمارس القتل الأدبي على باقي شخصياته وينهبها على طريقته.

يُعنون بشير مفتي خطّ روايته بعنوان فرعي صادم سماه"القاتل"، وهي الشّخصية التي يرتكز عليها السّرد والحوار في كلّ تفاصيل الرواية، وكأنّ هذه الرواية هي عنوان لفلم سينمائي يحمل في أحداثه العنف والجريمة، حيث نجد هذه الشّخصية مبهمة حتى في اسمها داخل المتن إذ لا نجد لها اسما حقيقيا عدا اسمين مزوّرين جاءا على لسان شخصية القاتل هروبا من الإفصاح عن اسمه الحقيقي مرة باسم: سليمان ناصر، ومرة أخرى باسم كمال عازب، وهي أسماء مستعارة للتّفلّت من الاسم الحقيقي والذي بقي غامضا طيلة فصول الرواية، شأنه شأن الشّخصيات السّايكوباتية الغامضة التي تلجأ للعنف والقتل وتبقي الغموض والسّرية على جرائمها وعدد ضحاياها.

هذا الاسم الروائي "القاتل" يحيلنا إلى تتبع هذه الشّخصية النّامية وهي تتحدث عن نفسها وتفصح عن مبررات ارتكاب جرائمها، ونبدؤها بتأثير الطفولة وعلاقتها بالانحراف السّلوكي عند الشّخصيات السّايكوباتية حيث تعتبر الأسرة النّواة الأولى للتكوين النفسي فهي وسيلة إشباع عاطفي تساعد على النمو العقلي والفكري ومتى فقدها الطفل فقد جزءا من الشّخصية السّوية .

والسّايكوباتية كما هو متعارف عليها تظهر ملامحها الأولى في سنّ مبكرة وهو ما حدث مع شخصية القاتل الذي يتحدث بلسانه عن مراحل تنشئته في بيتهم العائلي، حيث يقول عن الأسرة وموقفه منها: " كنت أحب أمّي وأعطف عليها كثيرا، وأكرهها من حين لآخر مع والدي؛ لأنهما أنجباني في سنّ متأخّرة، كانت أمي في الخامسة والأربعين وأبي يقارب الستين، ولدت في بيت عجائز مسكون بالصّمت والوحشة "[25].

فالافتقار إلى العاطفة والحب والحنان هو ما يؤزّم سلوك القاتل كطفل نشأ بين متناقضات كثيرة، مما جعله يعيش شيئا من الانعزالية رغم الوسط الأسري الميسور. " كنت أنفر من الأطفال من مثل سني، وحتى عندما دخلت المدرسة كنت أشعر بعدم الرّغبة في الحديث أو اللّعب معهم "[26].

وهذا ما يشكّل دافعا لبداية العدوانية في شخصية القاتل حيث يميل منذ الطفولة إلى السّلوك الجانح. "كنت شديد العدوانية، ولم أكن أتسامح مع من يخطأ في حقي، فأصبحت مكروها من طرفهم ويتخّوفون مني في الوقت نفسه "[27].

فهو يميل إلى التّصادمية مع الأقران من الأطفال ويظهر لهم الجانب العنيف فيه، وبعيدا عن مراقبة العائلة يفكر في ارتكاب العدوان على غيره من الأطفال. " كنت جاهزا للمعركة لقد أحضرت سكينا من المطبخ وعندما أخرجته أمامهم شاهدت حينها بأم عيني ذلك الفزع الذي سيطر عليهم "[28].

كل هذا ولّد في شخصية القاتل حبّ الوحدة والعزلة عن العائلة والمجتمع، ليعتبر ذلك شيئا من التّحدي النفسي الذي يخلق فيه التميز والشّعور بالذّاتية، "أحسّ بأنني مختلف لي طباع خاصة مثل حبّ العزلة، وعدم الرغبة في المخالطة، وحبّ الاكتشاف والقراءة والاعتماد على نفسي دون طلب المساعدة"[29].

ويروي القاتل اكتشاف متعة القتل عنده من خلال مرحلة المراهقة حين أقدم على الإجهاز على قطّة أمّه المدلّلة التي كثيرا ما أثارته ورغب في إنهاء حياتها. "كان منظر القطّة يزعجني وكثيرا ما ركلتها بقدمي حتى تطير في السّماء وتسقط بعيدا عنّي فتفرّ هاربة لكنها تعود دائما...خرجت وراءها لقد استفزتني بدوري وقررت قتلها، ولم أكن أدري ماهو القتل حينذاك، كانت فقط قوة خفيّة بداخلي تقول لي خذها إلى مكان خفي واخنق رقبتها بيدك حتى تلفظ أنفاسها وهذا ما قمت به بالفعل "[30].

فقتل القطة هو ما يثير في شخصية القاتل اكتشاف لذة القتل منذ المراهقة، لتبقى لعنتها تطارده ويصبح فيما بعد قاتلا ومجرما خطيرا يقتل دون شفقة، "تلك التّجربة التي لن أنساها طوال حياتي، لقد أحسست بالقوة قبل التنفيذ وباللّذة الغريبة بعد التنفيذ. كانت تجربة نادرة ومؤثرة ومحددة لطريقي كي أصبح قاتلا فيما بعد "[31].

وهذا ما كوّن في شخصية القاتل الملامح السّايكوباتية الدّافعة للإجرام والعنف،حيث يبدأ في الانعزال التام عن العائلة بعد تأنيب الوالدين له على فعلته، ويرفض أن يكون تحت المراقبة الصّارمة

لهما ليتّخذ موقفا منهما وتتروّس في نفسه مشاعر الكره اتجاههما. "هذا ما جعلني في لحظة من الزّمن أكرههما بحق وأقلل من تواصلي معهما في الكلام، وأغلق على نفسي الباب وحيدا في غرفتي طوال الوقت فأجلس مع نفسي أكثر، غير أنّ ذلك البقاء في الغرفة وحدي كان يجعلني أفكّر في أمور سيئة وأستعيد لحظة قتلي للقطّة بلذّة سعيدة "[32] .

وهنا يطرح القاتل سؤال القتل والموت على نفسه، وهو سؤال بشير مفتي نفسه عن نظرته للعنف والقتل وقبول النّاس له ورفضه على حسب توجهاتهم ومواقفهم وأفكارهم التي يحملونها في الحياة. "البشر ينافقون ويكذبون يقبلون القتل عندما يكون في سبيل الوطن أو الدّين أو أيّ قيمة يرسمونها لأنفسهم، ويرفضونه على المستوى الفردي بل يعتبرونه انحرافا عن الطّبيعة التي تبرّر القتل في مواضع ولا تبرره في مواضع أخرى. إمّا أن نرفضه كاملا أو نقبله كاملا "[33].

إنّ تكوين ملامح الشّخصية الجانحة في شخصية القاتل هو ما يجعله يعيش هوسا جنونيا ويتّخذ موقفا من البشر والحياة. "كان عندي يقين أن البشر أشرار بالفطرة، بل فطرتهم شريرة ولكنّهم يتكيّفون مع الحياة كما هي معطاة أمامهم، وكما رسموا قوانينها وشروطها حتى لا يبتلع بعضهم بعضا لكن في العمق الإنسان حيوان مفترس مفترس لا غير"[34] .

فالسّايكوباتي يتّخذ موقفا من مجتمعه وأسرته تحت تأثير الأفكار التي يحملها والتي تغذي فيه السّادية المفرطة نحو الانحراف السّلوكي نتيجة تأثير عوامل قد تكون خارجية أيضا، مثلما حدث مع شخصية القاتل الذي وجد نفسه في فوهة أحداث العنف في الجزائر سنوات التّسعينيات، خصوصا أنّه فقد أهم مكون يلجأ إليه وهو العائلة بعد وفاة والده ووالدته. "تركوني وحدي أعيش في بيت واسع تطوّقه حديقة جميلة، وبالرغم من إحساسي بالكثير من الألم الذي يشبه جسدا عاريا يمشي في غابة مليئة بالأشواك إلّا أنني لم أذرف دمعة واحدة "[35].

وهذا ما يميز شخصية القاتل الذي ينغمس في السّادية وتظهر فيه بوادر هذه الشخصية المرضية في ممارسة العنف في الواقع وتختار صفّ المواجهة سنوات التّسعينيات وتبتهج لما يحدث من اقتتال. " كان القتل يزدهر في كلّ منطقة من الجزائر ويحصد الآلاف من الرؤوس البشرية كل يوم. كان حزني الوحيد أنّني لا أستطيع المشاركة في عرس الدّم هذا "[36].

ويقرّر القاتل بداية تجربة القتل انطلاقا من العنف الدّامي الذي كان منتشرا في المجتمع لينخرط في فرقة أمنية مهمتها مكافحة المتديّنين، إلّا أن هذا لا يشبع غرائزه المرضية كونه يرى فيه عملا وظيفيا روتينيا لا يجلب له السّعادة المنشودة في القتل." رغم أنني قتلت ثلاثة أشخاص واحد منهم كان رئيس عصابة المسلحين المتدينين ومبحوثا عنه إلّا أنني لم أشعر حينها بأي سعادة حقيقية. كان القتل وظيفيا في إطار القيام بمهمة عمل "[37].

إنّ السايكوباتين يتبعون غالبا القسوة كنوع من العدوان " وتصبح معاناة الضّحية جائزة لهم ويسعدون بشكل ما أو لسبب ما يجدون من لذة وسرور في عذابات ضحاياهم "[38] لذلك يبرّرونه بدعاوى متعددة ويصبح إلحاق الهزيمة بالأشخاص وسحقهم من الوجود تجربة يستلذونها، فهي تحقق لهم الأمان النفسي إرضاء لذواتهم التي تدعوهم إلى مزيد من الإجرام والقتل، ويصبح القتل عندهم شهوة مرضيّة مثله مثل الحاجة للجنس الذي لا يرتوي منه طالبه ويطلب المزيد ويصنع صورا متخيّلة يمكن أن تساعده على تجاوز حمى الشّهوة المتقدة فيه والتي يبحث عن إخمادها كي تستكين نفسه ويعود إلى استقراره. يقول القاتل على لسانه: "القتل إذا برررناه لأنفسنا صار هو طبعنا الحقيقي، بل صار هو جوهرنا الحقيقي، ثم هناك التّعود فالبعض قد يشعر في أول عملية قتل يرتكبها بالألم يعتصره من الداخل وبالضمير المؤنّب وهي أمور تأتي من الثقافة والتربية على كلّ حال، وليس من غريزة الإنسان التي هي مفترسة بالأساس "[39].

فتبرير القتل عند القاتل هو ما يدفعه إلى المزيد منه. يخطط له بانتظام وذكاء من أجل صيد فريسته التي يرى فيها قرابين لدواخله المرضيّة، فالقتل عنده من أجل القتل فقط وهو ما يمكن أن نسميه بالسّادية السايكوباتية وهي أخطر أنواع الإجرام، حيث لا يهنأ للقاتل بال حتى يوقّع مزيدا من الضحايا، وعندها فقط يحس بوجوده وكيانه فهو شخصية متقلّبة المزاج عدوانية انفعالية، "ربما تراه يجد بعض السّعادة في أنّه قتل، أو أن القتل يحقّق له توازنا نفسيا حقيقيا وأنه إذا لم يقتل فسيشعر بحرمان من شيئ أساسي في توازنه ذاك، ويصبح القتل مثل المخدر الذي كلّما أدمنت عليه ازدادت حاجتك إليه "[40].

وتدخل شخصية القاتل في عالمها الجديد بدءا من التّخلّص من الذاكرة التي يقطع صلته بها وينعزل مع أفكاره الجنونية، ويفكّر فيما عليه فعله. يقول: " عدت إلى البيت في حي العناصر وأغلقت على نفسي...بدا لي واسعا وكبيرا، قمت بتفريغه من مختلف محتوياته ورميتها في الشّارع، وكانت معظمها لوالدي فأنا لم أكن بحاجة إلى مشاهدة أشباح الذاكرة تتجوّل أمامي وتأسرني في شبكتها العنكبوتية. أريد الحاضر فقط "[41].

وهنا يقدّم بشير مفتي شخصية القاتل على طريقة الأفلام البوليسية حين يستعدّ المجرمون لإنهاء حياة ضحاياهم دون رحمة أو شفقة، ويتحوّل إلى مرتزق وقاتل محترف يقوم بالعمليات على أكمل وجه ويجد حبورا كبيرا في ذلك .

يشير القاتل لحظة وصوله إلى ضحيّته وما وجده من متعة في إنهاء حياته قائلا:" خرجت من السيارة في لمح البصر توجّهت ناحية البيت كالسّهم، فتحت الباب الخشبي بطريقتي الخاصة، تسلّلت إلى الداخل، وجدت الرّجل يشخر وهنا واجهتني مشكلة كيف أجهز عليه بالمسدّس أم بالخنجر، ربما ما

سيرعبكم أنّي سأفضل الخنجر حتى يكون موته بطيئا، حتى أشاهد لحظة مغادرة الروح له، حتّى أشعر بتلك اللّذة الغريبة التي شعرت بها يوم قتلت قطّة أمّي "[42].

ويصف مشهد الجريمة وما أحدثته في نفسه من سرور. " قتلته بالخنجر، وعندما فتح الرجل عينيه كانت روحه تصعد ودمه ينزف. تركته يتخبّط وعدت من حيث أتيت بالطريقة السّريعة نفسها ... وأنا أرتعش من الإثارة والنّشوة عدت لبيتي سعيدا [43].

هذه السّعادة يزيدها عدد القتلى الذين أصبحوا بالعشرات، ولم يعد الدّاعي إلى حساب الضحايا ممكنا ولا الرجوع من هلوسة الذّات متاحا، فالشّخصية السايكوباتية في الواقع كثيرا ما تتخلّص من سطوة الضمير ابتداء من الضّحية الأولى، أما باقي الضّحايا فهم يدخلون ضمن مشروعه المرضي للإيقاع بأكبر عدد منهم ولا يصبحون سوى مجرد أرقام، وهو ما سعت إليه شخصية القاتل التي بدأت تحترف القتل كصناعة. يقول: "كانت تأتني مكالمات ليلية تطلب مني أن أنفّذ مهمة فأنفّذها دون نقاش، كان الأمر يحدث بشكل أوتوماتيكي. القتل عملية سهلة... لا أدري كم كانت حصيلتي من القتلى، المهم فعلت ذلك بكلّ سعادة، وحققت لنفسي ما تمنيت تحقيقه منذ الصّغر، وأصبحت دون أن أنتبه قاتلا محترفا بالفعل "[44] .

وتتميّز الشّخصية السّايكوباتية بالإدمان على سلوكات معينة منها: الكذب والمخدرات والخمر والسبّ والشّتم والعدوان واضطراب في الأنا وحب المشاهد العنيفة وتعذيب الآخرين، وهي كلها صفات تجتمع في شخصية القاتل خصوصا الجريمة والإدمان عليها، حيث لم ترو عطشه جريمة واحدة بل أصبح يبحث عن ضحايا آخرين مع تغيير طرائق القتل. يقول: " في تلك السّنة قتلت ما يقرب عشرة أشخاص كلّ واحد بطريقة مختلفة ولا أدري لما صرت مدمنا بعد ارتكاب الجريمة على قراءة الجرائد لمعرفة ماذا يقال عن هؤلاء الذين خلّصت الوجود منهم، لم يكن يعنيني إن كانوا أبرياء أو مجرمين ...ما كان يهمني وصف الجريمة، بشعة، مثيرة للتقزز، مخيفة عنيفة قذرة كانت تلك الأوصاف هي التي تخلق بداخلي المزيد من الإثارة، وهي التي من شأنها تشجيعي على المزيد من القتل "[45].

ويصبح القتل عند شخصية القاتل حالة صوفية روحية تخلق داخله الانسجام الذاتي، وهو ما تنشده الشّخصية السّايكوباتية حين تقوم بهذه الأفعال، خصوصا القتل الذي لا يبرره له إلا تلك الحالة الصّوفية الحالمة التي تخلق فيه النّشوة، وتجعل منه إنسانا حقودا حسودا لجنس البشر يبتعد عن عالمهم ويخلق في دواخله عالمه الخاص .

وغالبا ما يبحث الشّخص السّايكوباتي عن مواطن العزلة حيث يختار الأمكنة التي لا يعرفه فيها أحد وهو ما يخلق في نفسه الآمان من نظرات الناس إليه، وهذا ما جعل شخصية القاتل تغادر مناطق جريمتها الأولى إلى ولاية أخرى أي من العاصمة إلى ولاية تيزي وزو وحاول البحث عن مكان أكثر هدوءا له وعمل على إشباع الأنا المرضي بشيء آخر هو الكتابة، واختياره فعل الكتابة ليس من العدم بل

يلتقي فعل القتل وفعل الكتابة لأنّ كلاهما يحقق التوازن النفسي والسعادة الحالمة ونشوة الفعل. "زرت المكتبات ووجدت فيها أكثر ما يعجبني من روايات وكتب فلسفة، ودراسات عن الإجرام والمجرمين، كنت سعيدا بتلك العلبة الكرتونية الكبيرة التي ملأتها كتبا وأحضرتها معي للبيت... كلّ ليلة كنت أقضيها مع كتاب وزجاجة نبيذ أحمر"[46].

لتدخل شخصية القاتل مغامرة جديدة هي مغامرة القراءة والبحث عن اللّذة فيها، ويستذكر تلك الرواية التي طالما أحبّها وغيرت من واقع حياته فيما بعد شّيئا كثيرا. رواية دوستويفسكي" الجريمة والعقاب التي جعلتني أخلصُ أنّ هذا الكاتب لو لم يصبح روائيا لكان مجرما حقيقيا وناجحا، ولدخل التّاريخ من هذا الباب، لكن لسوء حظه نجح في الكتابة الروائية وربما كانت لذته فيها أكبر من لذة الجرم والجريمة "[47].

ويحاول بشير مفتي أن ينقذ شخصية القاتل من مخالب الجريمة فيدفعه إلى معركة أخرى هي معركة الحب واكتشافه بعد أن خسر معركة الجسد، ولم تغيّر فيه شخصية العاهرة سمسم شيئا وإنما اكتشف فيها متعة أخرى هي متعة الجنس، ليدخل مغامرة هي مغامرة الروح ويتعرف على الأستاذة الجامعية سميرة قطاش وهي الفتاة المنهارة والمنكسرة داخليا بعد أن خسرت كلّ أحلامها وبقيت تتشبّث بعالم وهمي تحاول الخلاص منه بشتى الطرق فخسرانها لمحبّة أستاذها في الجامعة صادق سعيد غيّرت حياتها وجعلتها تبحث هي الأخرى عن الانتقام، وهنا تتشارك شخصية القاتل وشخصية سميرة قطاش في الهدف نفسه وهو الانتقام، لكن عدم خبرتها بالحياة دفعها إلى الانتقام من نفسها أكثر، حيث أنّ كلّ الرجال الذين عرفتهم استغلوا فيها متعة الجسد حتى أستاذها صادق سعيد نفسه.

" لقد فعل معي الحب دون أن يتحرك فيه الحب، لقد كرهته وتمنيت لو أستطيع قتله،...وماذا كان سيحدث لو قتلته ؟

أنتحر بعدها هكذا نذهب معا إلى الجحيم "[48].

وهنا يحسّ القاتل بتحرّك مشاعره الدّاخلية التي دفعته إلى الإحساس بالحب، لكنّه حبّ من نوع آخر حب من أجل الانتقام. " كانت تلك المرة الأولى الّتي أمارس فيها الحبّ بشكل طبيعي وشاعري وحتى وإن لم أكن مبالغا في الوصف رومانسي، فتحت سميرة قطاش شهيتي لأكون بجانبها، وشهيتي لأقتل من أجلها لقد قررت أن أنتهي من جميع الرجال الذين سببوا لها كلّ تلك الآلام "[49].

وهذا ما يجعل الأشخاص السّايكوباتين أشخاصا لا يغير الحبّ من واقعهم شيئا، كون الشّهوة السادية المرضية أقوى من شهوة الحبّ عندهم؛ لذلك لم تستطع شخصية القاتل أن تحب سميرة قطاش رغم تلك الإحساسات الجسدية التي تجمع بين جنسين مختلفين، يقول عن نفسه: " لو كنت شخصا عاديا مثل باقي البشر لعملتُ على أن أشملها بالحب وأرعاها بالحنان وأعيد لها الثّقة في الرجال

من خلال ما أمنحه لها من كلام صادق وعاطفة قوية،...لكنني لست هذا النوع وفاتني الوقت على أن أكون يوما بهذا الشّكل "[50].

وتفضّل شخصية القاتل الانتقام لسميرة قطاش كي يرضيها ويرضي نفسه بواجبه اتجاهها، فهو كمن يدفع الشر بشرٍ أعظم منه ويرى في ذلك عدالة ودفعا لبعض المشاعر التي جمعته بها والتي لم تتجاوز حدود الجسد "هذه المرأة التي زجّت بي في مغامرة من نوع خاص وكي أتمسّك بها ولا أفقد في الوقت نفسه نزعتي الطبيعية في القتل كان علي أن أجد الطريقة التي تجمع متناقضين بعضهما ببعض وما كان منّي إلا أن فكرت في قتل الذين أحبّتهم أو اقتربت منهم "[51].

وهنا تبدأ مرحلة الانتقام عند شخصية القاتل ليبدأ بمن اغتصبها وسبّب لها كل تلك المآسي وكأنه يحقق مبررات القتل هذه المرة لنفسه. القتل من أجل مساعدة إنسان آخر، وفعلا يقوم بتصفية كثير منهم ويرميهم إلى عالم الجحيم الذي في نظره يستحقونه لأنهم لا يصلحون للحياة، وهو تفسير نفسي متناقض كون الشّخصية السايكوباتية تحكم دائما على الأفراد والمجتمع بما يخدم الانفعالات الآنية التي تحس بها اتجاه هؤلاء كالنفور منهم والحقد عليهم .

هكذا يجعل بشير مفتي من شخصية القاتل شخصية مرضية تعاني الاضطراب الداخلي والذي تهرب منه بالمزيد من الجرائم حتى تستكين تلك الرغبة المتّقدة في نفسه والتي يبررها القاتل من منظور رؤيته للحياة. يقول: "صحيح أن القتل بالنسبة لي هو تلبية لرغبة عميقة ومتجذّرة في داخلي ولغريزة متوهّجة باستمرار، وأنا أفعله لأنّه يحقق لي لذة جسدية وروحية غير محدودة، وبالتالي أنا بقدر ما انتقمت لها بقدر ما حقّقت لنفسي هذا الإشباع الروحي الكامل حتى لو أنّه إشباع مؤقت، وهذا ما يدفعني للبحث عن ضحيّة جديدة "[52].

فهوس القتل عند الشخصية السّايكوباتية هو الذي يدفعها إلى البحث عن مزيد من الضّحايا والذين غالبا ما يكونون من محيطها العائلي والاجتماعي، أو الذين تربطها بهم علاقات أو منافع وهذا الذي حدث مع شخصية القاتل في نهاية الرواية عندما اختار أن تكون ضحيّته الجديدة سميرة قطاش المرأة التي انتقم لها لينتقم منها هي الأخرى، بعد أن رغبت في الانتحار عندما فقدت مبررات الوجود في عالمها السوداوي الذي يؤرقها رغم منزلتها الاجتماعية المرموقة لتكون طريقة القتل بالنسبة لشخصية القاتل طريقة شاعرية رومانسية على خلاف الجرائم السّابقة. " كنت أدرك مهمتي جيّدا لقد استيقظ فيّ القاتل دون حتّى أن أنتبه له، مع أني خدرته كلّ تلك الفترة القصيرة التي عشتها معها، وانتقمت لها من أولئك المجرمين وليس منها هي،...قضينا الظّهيرة نستمع للموسيقى الكلاسيكية لشوبان تشايكوفسكي بيتهوفن، وقد انطفأ ضوء المصابيح الكهربائية وأشعلنا الشّموع،...طلبت منّي أن ننتقل للفصل الأخير من الحكاية أن نشرب السّم فحضّرت لها كوب الماء ووضعت فيه ما جعلها تغيب عن الحياة إلى الأبد "[53].

ولأنّ الشّخصيات السّايكوباتية في عالم الواقع لا يردعها شيء حتى قتل أقرب المقربين منها. هذا ما جعل بشير مفتي يقتل شخصياته عن طريق شخصية القاتل في الرواية التي أنهت حياة كل من اقترب منها حتى من أحست معهم بدفء الحب لكن كان حب القتل وشهوته أقوى من شهوة الروح لتنتهي ملهاة الحبّ بمأساة القتل في شيء من الطّقوس الروحية في تقديم القرابين في مزار صوفي. "كان هو ذلك الشّكل الوحيد الذي يليق بسميرة، لقد كانت ترغب في رحيل هادئ ولأول مرة مارست قتلا شاعريا ورومانسيا وحقق لي رغم كلّ ذلك لذّة قصوى لا تقاوم "[54].

وختاما لما عرضناه سابقا يمكننا القول:

-البشر على اختلافهم يشكّلون مجتمعات قد تكون متجانسة أو غير متجانسة تبعا لعوامل قد تكون اجتماعية أو فكرية أو دينية .

- الجريمة والقتل لا يكاد يخلو منها مجتمع من المجتمعات حتى الحضارية منها، وهذا ما يفسر السّلوك الجانح لبعض شواذ المجتمعات الذين يعكّرون صفوه بخروجهم عن مألوفه.

- قصة قابيل وهابيل نموذج للشّخصية السايكوباتية الجانحة التي تحمل ميولات عدائية وعدوانية تمارس بها شذوذ القتل والجريمة ضدّ القرابة تبعا لنوازع الغيرة والحسد وإضمار الشّر .

- البشر على ابتكارهم مواثيق وقوانين وعهود وعادات وتقاليد في حياتهم إلا أنّ نزعة العدوان والإجرام يحملها بعض منهم، وهم يمثلون الأشخاص غير المتزنين فكريا ونفسيا والذين لا يمتثلون لسلطان المجتمع.

- العنف بين البشر مازال إلى اليوم متحكّما في المجتمعات الإنسانية التي تهتدي إليه ليغالب أحدها الآخر دفاعا عن أرض أو دين أو عرف أو فكر، واليوم يمارسه الأشخاص مثلما تمارسه الدّول.

- العنف على اختلاف تعاريفه يبقى سلوكا منافيا للطّبع الإنساني السّليم، وهو وصمة عار في جبين الإنسانية.

- تعتبر الشّخصية في المتن الروائي الجزائري شخصية متحوّلة تبعا للمسارات التّاريخية والسياسية عبر الزمن ابتداء من الشّخصيات الملتزمة إلى الشّخصيات الأيديولوجية إلى الشّخصيات المثقفة وصولا عند الشّخصيات العنيفة والمعنفة.

- يعتبر بشير مفتي واحدا من الذين صنعوا الاستثناء في المتن الروائي المعاصر عن طريق كتابة العنف كواقع؛ لذلك رواياته هي مرآة تعكس المجتمع الجزائري في أحلك ظروفه.

- فعل العنف انتقل من عالم الواقع إلى عالم الأدب على يدّ روائيين أمثال بشير مفتي والذي يعدّ هاجس العنف عنده الهاجس الأوّل منذ أوّل رواية كتبها إلى اليوم.

- تعتبر رواية وليمة القتل الكبرى استثناء روائيا عنده حيث انتقل من الشّخصيات المعنفة في رواياته السّابقة إلى الشّخصيات العنيفة ليبقى العنف ومرتكبيه محور أعماله السّردية.

- انتقل بشير مفتي من عالم الشّخصية الروائية إلى عالم الشّخصية الهوليودية التي تعاني السايكوباتية المفرطة لينقل بذلك الشّخصية من علم النفس إلى الأدب .

- الشّخصية السّايكوباتية في رواية وليمة القتل الكبرى هي شخصية نفسية معقّدة مأزومة تعاني الهوس والانفصام الداخلي للذّات، مما يخلق منها شخصية مجرمة تميل إلى العدوان والبحث عن اللّذة في القتل.

- خلق بشير مفتي عنوانا سايكوباتيا " وليمة القتل" ليخلق شخصية لم يعط لها اسما روائيا محدّدا وإنما نعتها بشخصية القاتل الذي يحاول طيلة فصول الرّواية أن يمجّد القتل ويبينه في صورة الأشياء الطبيعية التي تحدث في عالم البشر.

- شخصية القاتل من خلال رواية وليمة القتل الكبرى هي شخصية تحمل ملامح الجنوح السّادي السّايكوباتي المبهم غير المفسر علميا وطبّيا .

- تحمل رواية وليمة القتل الكبرى مأساة القتل والإنسان، لتنتهي نهاية غير متوقعة. موت جميع الأشخاص انتحارا وقتلا وجنونا وبقاء شخصية القاتل تطلب المزيد .

- شخصية القاتل هي شخصية تتغلّب عليها شهوة القتل في جميع فصول الرواية؛ لذلك يمكننا القول أنّ رواية وليمة القتل الكبرى هي استثناء روائي على مستوى مدلولات الشّخصية في المتن الروائي الجزائري.

الهوامش والمراجع:

[1]- سورة الروم الآية:21.

[2]- سورة فاطر الآية:27، 28.

[3]- سورة البقرة الآية: 29.

[4]- سورة المائدة الآية: 27، 28 .

[5]- سورة الحجرات الآية:13.

[6]- سورة المائدة الآية:30.

[7]- سورة المائدة الآية:31.

[8]- ابن خلدون :المقدمة ، تح عبد الله محمد الدرويش ،دار يعرب دمشق،سوريا ط1، 2004،ج1، 254.

[9]- إبراهيم الحيدري: سوسيولوجيا العنف والإرهاب دار الساقي بيروت لبنان ،ط1، 2015،ص:52.

[10]- ابن خلدون المقدّمة، ج1،ص: 457.

[11]- ابن منظور لسان العرب، دار صادر، بيروت لبنان، دط ، دت، مج:9 ص:257.

- لطفي الشربيني: معجم مصطلحات الطب النفسي، مركز تقريب العلوم الصحية،مصر، دط، دت ،ص:203.[12]

- فرج عبد القادر طه: موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، دار الصباح، الكويت، دط، 2005 ص:551.[13]

- بشير مفتي: سيرة طائر الليل نصوص، شهادات، أسئلة، منشورات الاختلاف الجزائر،ط1، 2013،ص:196.[14]

- عبد المالك مرتاض:في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد،عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت،1998 ص78.[15]

- المرجع نفسه،ص:73.[16]

- صالح حسن الداهري: الشخصية والصحة النفسية، دار الكندي للنشر، الأردن، ط1، 1999، ص:131.[17]

- فرج عبد القادر طه وآخرون:معجم علم النفس والتحليل النفسي، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، ط1، دت ،231.[18]

- المصدر نفسه،ص:231.[19]

- المصدر نفسه، ص:232.[20]

- بسام قطوس:سمياء العنوان وزارة الثقافة، الأردن، ط1، 2001، ص:31.[21]

- حسين خالد حسين: في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية، التكوين للتأليف والترجمة والنشر،دمشق، 2007، ص:84.[22]

- الزمخشري محمد بن عمر: المستقصى من أمثال العرب، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط2، 1987، ص: 175.[23]

- بشير مفتي: وليمة القتل الكبرى، منشورات الاختلاف الجزائر، منشورات ضفاف، بيروت لبنان، ط1، 2019، ص:7.[24]

- بشير مفتي: وليمة القتل الكبرى ،ص: 13.[25]

- - بشير مفتي: وليمة القتل الكبرى، ص:14.[26]

- المصدر نفسه،ص: 15.[27]

- المصدر نفسه،ص:16.[28]

- المصدر نفسه،ص: 18.[29]

- المصدر نفسه، ص:19.[30]

[31]- المصدر نفسه، ص:19

[32]- بشير مفتي:وليمة القتل الكبرى، ص:21.

[33]- المصدر نفسه،ص:22.

[34]- المصدر نفسه،ص:23.

[35]- المصدر نفسه، ص:26.

[36]-- بشير مفتي: وليمة القتل الكبرى المصدر نفسه،ص:29.

[37]- المصدر نفسه،ص:31.

[38]- كاثلين تايلور: القسوة شرور الإنسان والعقل البشري،تر:عبد الحميد البهنساوي،المركز القومي للترجمة القاهرة،ط1، ،2014 ص:360.

[39]- بشير مفتي:وليمة القتل الكبرى،ص:39.

[40]- - بشير مفتي: وليمة القتل الكبرى،ص:39.

[41]- المصدر نفسه،ص:40.

[42]- المصدر نفسه، ص:44-45.

[43]- المصدر نفسه، ص:45.

[44]- بشير مفتي: وليمة القتل الكبرى، ص:47.

[45]- المصدر نفسه، ص:69.

[46]- المصدر نفسه، ص:76.

[47]- - بشير مفتي: وليمة القتل الكبرى، ص:78.

[48]- المصدر نفسه، ص:93.

[49]- المصدر نفسه، ص:97.

[50]-- بشير مفتي: وليمة القتل الكبرى، ص:177.

[51]- المصدر نفسه، ص:179.

[52]- المصدر نفسه، ص:230.

[53]-- بشير مفتي: وليمة القتل الكبرى، ص:243.

[54]- المصدر نفسه، ص:243.